حديث الفسيلة
«دراسة تحليلية»

The Ḥadīth of the Date Seedling: An Analytical Study

د. أحمد عواد جمعة الكبيسي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
كلية الإمام الأعظم الجامعة
Assoc. Prof. Dr. Ahmad Awwād Jumah al Kubaysī
Professor of Ḥadīth
Al - Imam Al - Aʿẓam University

ملخص البحث

يسلط هذا البحث الضوء على حديث مهم من احاديث رسول الله ﷺ، الا وهو حديث الفسيلة، هذا الحديث الذي يدفع بالإنسان الى عمل الخير الى اخر لحظة في حياته، وان المرء اذا كانت بيده فسيلة وفي تلك اللحظات قامت القيامة وزالت الدنيا فعليه ان يغرس تلك الفسيلة ولا يتركها وينشغل بالقيام بعبادة يظن انها ستنجيه من هول ذلك اليوم، لأنه بهذا العمل يكون قد ادى العبادة التي تقربه الى الله سبحانه وتنجيه من ذلك اليوم العصيب فلا افتراق في الاسلام بين العبادة والعمل بعكس ما عليه اتباع الديانات الاخرى.

Abstract:

This research sheds light on an important hadith of the Prophet Muhammad (peace be upon him), namely the Hadith of the Palm Shoot (al - Fasīlah). This hadith urges a person to continue doing good deeds until the very last moment of life. It teaches that if a person has a small palm shoot in his hand and the Day of Resurrection begins, and the world ceases to exist, he should still plant that shoot instead of abandoning it to engage in a form of worship he assumes will save him from the terror of that Day. By performing this act, he is indeed engaging in worship that draws him nearer to God Almighty and saves him from the hardship of that Day. Thus, in Islam, there is no separation between worship and work—unlike the followers of other religions.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنّ السنة النبوية الشريفة تزخر بالأحاديث التي تُجسّد القيم الإيمانية والإنسانية، وتدعو إلى العمل الصالح والإيجابية في الحياة، ومن تلك الأحاديث البليغة حديث النبي e)): «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا»

وهذا الحديث يُعدّ من النصوص الجامعة التي تدعو إلى التفاؤل، واستمرار العمل الصالح مهما كانت الظروف، إذ يحمل معانيَ عظيمة في الحث على عمارة الأرض، وغرس الأمل، والإيجابية في مواجهة تحديات الحياة.

ولما اشتمل عليه هذا الحديث من معانٍ تربوية وحضارية وأخلاقية، كان جديرًا بالدراسة والتحليل، للوقوف على دلالاته اللغوية والشرعية والاجتماعية، واستنباط ما فيه من دروس عملية تخدم الواقع المعاصر.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان: حديث الفسيلة: دراسة تحليلية، لتتناول الحديث من جوانبه الإسنادية والمتنية والدلالية، وفق منهج يجمع بين الدراسة الحديثية والتحليل الموضوعي.

ولا بد من الاشارة الى اني وجدت بعض البحوث التي تناولت حديث الفسيلة من اكثر من زاوية وهي كالاتي:

١ - القيم الحضارية في حديث الفسيلة، أ. حدة بلعباس، نشر في مجلة الربيئة. العدد التاسع عشر، ديسمبر/ ٢٠٢٠

٢ - استنباطات اقتصادية من حديث الفسيلة، د. عبد الحميد المحيمد، نشر على موقع الالوكة على الانترنيت

٣ - الاشارات العقدية في حديث الفسيلة. هاجر بنت صبيح بن سلامة الذيباني. نشر في مجلة العلوم التربوية والدراسات الانسانية، العدد /٣٩,مايو ٢٠٢٤

٤ - حديث الفسيلة رواية ودراية، د. محمد عبد الله مشبب الغرازي، نشر في المجلة العلمية لكلية اصول الدين والدعوة، مصر، الزقازيق/ ٢٠١٩

وهذه البحوث كانت نافعة ومفيدة، ولكنها اغفلت جوانب مهمة اخرى من حديث الفسيلة، كان لابد من تناولها، وهذا ما دعاني الى الكتابة في هذا الموضوع المهم.

هذا وقد تطلبت طبيعة البحث الى ان يقّسم الى مبحثين وخاتمة اما المبحث الاول فتكون من مطلبين:

المطلب الاول: استعراض طرق الحديث من كتب السنة النبوية الشريفة، والحكم عليه.

المطلب الثاني: ازالة التعارض بين حديث الفسيلة وبين احاديث اخرى

اما المبحث الثاني فتكون من مطلبين ايضا

المطلب الاول: شرح الحديث بصورة شاملة

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث

ثم ذكرت في الخاتمة اهم ما توصلت اليه من نتائج في البحث.

والله اسأل ان اكون قد وفقت في هذا البحث خدمة للسنة النبوية المشرفة.

المبحث الأول:

المطلب الأول: تخريج ودراسة الحديث

أولاً: تخريج حديث الفسيلة:

خرج عدد من العلماء حديث الفسيلة، ورووه بأسانيدهم بألفاظ متقاربة، وممن خرَّج الحديث الامام احمد بن حنبل من طريقين:

١ - الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أخرجه من طريقين أولهما: «حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: ((إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا))[1]، أما الثاني قال فيه: حَدَّثَنَا بَهْزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»))[2].

(١) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه برقم، ١٢٩٠٢، ٢٠/ ٢٥١، قال شيخنا الشيخ شعيب الأرناؤوط محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم

(٢) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه برقم ١٢٩٨١، ٢٠/ ٢٩٦،

ويلاحظ الاختلاف البسيط بين الروايتين، فالرواية الاولى جاء فيها لفظة: فليغرسها. والرواية الثانية، جاء فيها: فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليفعل، وهذا الاختلاف بين الروايتين لا يؤثر لان المعنى واحد.

٢ - ابو داود الطيالسي(١): أخرجه بلفظ فسيل، قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلاَّ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ))(٢).

٣ - وروى الحديث عبد بن حميد (٣)في مسنده قال: حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَا: ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، ثَنَا هِشَامُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (٤).

٤ - البخاري محمد بن اسماعيل: أخرجه الامام البخاري رحمه الله في «الأدب المفرد، قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»))(٥).

٥ - ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي(٦): وأخرجه من طريق أبي داود الطيالسي وبنفس لفظ، ومن طريق أحمد عن بهز عن حماد بلفظه، و أخرجه من طريق عبيد وهو ابن آدم

تعليق الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم

(١) وهو الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود، صاحب (المسند)، أبو داود الفارسي، ثم الأسدي، ثم الزبيري، مولى آل الزبير بن العوام الحافظ البصري، كتب عن الف شيخ وكان يسرد من حفظه ثلاثين الف حديث، وكان ثقة ت ٢٠٤هـ. سير اعلام النبلاء ٣٧٨/٩، وتاريخ بغداد ٣٣/١٠

(٢) مسند أبو داود الطيالسي برقم ٢١٨١، ٣/ ٥٤٥

(٣) هو: الإمام، الحافظ، الحجة، الجوال، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، ويقال له: الكشي، صاحب المسند والتفسير روى له مسلم في صحيحه وروى له البخاري تعليقا، وكان احد الحفاظ بما وراء النهر ت ٢٤٩هـ. تاريخ بغداد ١١٧٥/٥ وسير اعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٥

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص٣٦٦

(٥) الأدب المفرد برقم ٤٧٩ ص: ١٦٨

(٦) الشيخ، الإمام، الحافظ، القدوة، المحقق، المجود، الحجة، بقية السلف، ضياء الدين، أبو عبد الله السعدي، المقدسي، له عدد من المؤلفات النافعة، منها الاحاديث المختارة وهو ممن جرح وعدل، وصحح وعلل، وقيد وأهمل، مع الديانة والأمانة والتقوى، وهو حافظ متقن ثبت صدوق نبيل حجة، عالم بالحديث وأحوال الرجال ت٦٤٣هـ. سير اعلام النبلاء ١٢٦/٣٢

بن أبي إياس، عن أبيه، عن حماد بنحو لفظ أبي داود الطيالسي، وأخرجه بسنده عن أحمد بن منيع عن يزيد عن حماد، واخرجه من طريق بشر بن السري عن حماد بلفظ)) لَوْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَة فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَحَدُكُمْ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرسها فليفعل))[1].

٦ - أبو بكر البزار[2] أخرجه بسنده قال: حَدَّثنا الحسين بن أبي كبشة، حَدَّثنا عَبد الرحمن، حَدَّثنا حماد بن سلمة عن هشام بن زيد، عَن أَنَس؛ أَن النَّبِيّ ﷺ قال: ((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها))[3]، ثم قال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ هِشَامِ بن زيد إلاَّ حماد بن سلمة.

٧ - أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال البغدادي الحنبلي[4]: أخرجه في كتابه الحث على التجارة والصناعة، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَنْبَأَ وَكِيعٌ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا))[5].

ونلاحظ ان الروايات السابقة مدارها على حماد بن سلمة وهو ثقة عابد من رجال مسلم

ثانيا: المتابعات والشواهد:

أ - المتابعات: اهمها متابعتان:

· متابعة يحيى بن سعيد لهشام بن زيد عن انس، فقد اخرج ابن عدي [6] في كتابه الكامل، قال: سمعت عبد الحميد الوراق يقول حدث محمد بن مسلمة ببغداد عن يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد عن انس عن النبيﷺ قال ..... وذكر الحديث، فتابع يحيى بن سعيد

(١) الاحاديث المختارة برقم ٢٧١١ و٢٧١٢ و٢٧١٣ و٢٧١٤ و٢٧١٥. ٧/ ٢٦٢ - ٢٦٤

(٢) الشيخ، الإمام، الحافظ الكبير، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، البزار، صاحب المسند الكبير المعلل وقد بين درجة أحاديث مسنده، ت /٢٩٢هـ. سير اعلام النبلاء ١٣/٥٥٤

(٣) البحر الزخار المعروف بمسند البزار، برقم ٧٤٠٨، ١٤/ ١٧

(٤) الإمام، العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، وهو الذي قام بجمع علوم الإمام بن حنبل وسافر لأجلها وصنفها كتبا، ولم يكن أحد اجمع لكتب الإمام أحمد منه، ت ٣١١هـ. تاريخ بغداد ٦/٣٠٠ وسير اعلام النبلاء ١٤/٢٩٧

(٥) الحث على التجارة والصناعة برقم: ٧٤ ص: ١١٦

(٦) هو الإمام الحافظ الناقد الجوال أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك ابن القطان الجرجاني، وهو ممن جرح وعدل وصحح وعلل وله باع طويل في صناعة الحديث وهو أم حافظ متقن، لم يكن في زمانه مثله، ت ٣٦٥. سير أعلام النبلاء، الترجمة ١١١، ١٦/١٥٤. تأريخ جرجان ص ٢٦٧.

هشام بن زيد عن انس، وقد علق ابن عدي على ذلك فقال: انما يرويه يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن هشام بن زيد عن انس عن النبي ﷺ [١]وبذلك يتبين ان هذه المتابعة غير معتبرة، وان محمد ابن مسلمة قد اخطأ فيها.

· متابعة شعبة لحماد عن هشام بن زيد، فقد اخرج ابن الأعرابي[٢]، في معجمه: قال: نا محمد بن منظور، نا عبدالحميد بن صالح، نا وكيع عن شعبة عن هشام بن زيد عن انس وذكر الحديث. واخرجه ابن عدي قال، حَدَّثَنا أحمد بن سنان القزاز، حَدَّثَنا عُمَر بن حبيب القاضي، عن شُعْبَة، عَن هشام بن زيد، عَن أَنَس، قال النبي ﷺ وذكر الحديث، وقال: وهذا من حديث شُعْبَة عَن هشام بن زيد لا يرويه غير عُمَر بن حبيب، وهذا الحديث معروف بحماد بن سلمة عن هشام بن زيد[٣] وكأنه يشير الى ان الرواية عن شعبة عن هشام لا تثبت

ب - الشواهد:

· ذكر البخاري في الأدب المفرد: «حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْبَجَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حِبَّانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ((إِنْ سَمِعْتَ بِالدَّجَّالِ قَدْ خَرَجَ، وَأَنْتَ عَلَى وَدِيَّةٍ تَغْرِسُهَا، فَلَا تَعْجَلْ أَنْ تُصْلِحَهَا، فَإِنَّ لِلنَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ عَيْشًا»)[٤] وهذا الحديث وان روي موقوفا على عبد الله بن سلام فهو في حكم المرفوع لأن مثله لا يقال فيه بالرأي والاجتهاد[٥].

ثانياً: دراسة حديث الفسيلة في مسند الامام احمد:

أ - دراسة رجال السند:

١ - وكيع بن الجراح: ابن مليح الرؤاسي بضم الراء وهمزة ثم مهملة أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة، قال أحمد ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ كان أحفظ من ابن

(١) الكامل ٥٥٢/٧

(٢) هو: أحمد بن محمد بن زياد بن بشر الإمام، المحدث القدوة الصدوق الحافظ، شيخ الإسلام، أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي، نزيل مكة، وشيخ الحرم، ت ٣٤٠هـ. سير أعلام النبلاء، ترجمة: ٢٢٩، ٤٠٧/١٥.

(٣) الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث ٦/ ٧٦. معجم ابن الاعرابي ١١٦/١

(٤) الأدب المفرد برقم ٤٧٩ ص: ١٦٨ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) ينظر: نزهة النظر ص١٠٧، بتحقيق نور الدين عتر وترجمة عبد الله بن سلام في كتاب الاصابة في اسماء الصحابة ١٠٢/٤

مهدي. مات في أول سنة سبع وتسعين [ومائة] وله سبعون سنة. (١)

٢ - حماد بن سلمة: حماد بن سلمة بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام روى عن سلمة بن كهيل وابن أبي مليكة وأبي عمران الجوني هشام بن زيد وعنه شعبة ومالك وأبو نصر التمار و محمد بن الفضل قال عنه الذهبي: هو ثقة صدوق يغلط وليس في قوة مالك، وقال ابن حجر: ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة من كبار الثامنة عام ١٦٧ للهجرة(٢).

٣ - هشام بن زيد: هشام بن زيد بن أنس بن مالك الأنصاري روى عن جده وعنه شعبة وحماد بن سلمة قال عنه الذهبي: وثق، وابن حجر: ثقة من الخامسة(٣).

٤ - أنس بن مالك: انس بن مالك ابن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين له، رواية عن عدد من الصحابة، وعنه روى خلق كثير مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة(٤). - واما الرواية الثانية في مسند احمد فجاءت عن بهز عن حماد بنفس السند المتقدم.

وبهز هذا هو: بهز بن اسد وهو ثقة ثبت، امام حجة (٥).

ب - الحكم على الحديث: يبدو لي بالنظر إلى ما سبق ذكره في تراجم رجال الاسناد، أن الحديث صحيح الاسناد، وهو ما ذهب إليه الهيثمي حيث قال: رواه البزار ورواته ثقات اثبات(٦)، وحسن اسناده العيني في عمدة القاري (٧)وقال الشيخ شعيب الارنؤوط اسناده صحيح على شرط مسلم(٨)، والله أعلم.

(١) تقريب التهذيب ص٥٨٠، الترجمة: ٧٤١٤، والكاشف، ترجمة: ٦٠٥٦، ٢/٣٥٠
(٢) الكاشف: الترجمة ١٢٢٠ وتقريب التهذيب: الترجمة/ ١٤٩٩
(٣) الكاشف: ترجمة ٥٩٦٣ وتقريب التهذيب: ترجمة/ ٧٢٩٣
(٤) الكاشف: ترجمة ٤٧٧ وتقريب التهذيب: ترجمة/ ٥٦٥, الإصابة: ١/ ٢٧٥
(٥) التقريب: ص ١٢٨، الكاشف ١/ ٢٧٦
(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/ ٦٣
(٧) ١٢/١٥٥
(٨) مسند أحمد / ط الرسالة برقم، ١٢٩٠٢، ٢٠/ ٢٥١

ثالثاً: شرح ألفاظ الحديث:

الفسيلة: النخلة الصغيرة، يقال لها أيضا الوديَّ وَهِيَ الَّتِي تُقْطَعُ مِنْ الْأُمِّ أَوْ تُقْلَعُ مِنْ الْأَرْضِ فَتُغْرَسُ(١).

المطلب الثاني: التعارض بين هذا الحديث واحاديث اخرى

· التعارض الأول: التعارض بين هذا الحديث وقوله ﷺ ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس))(٢):

ظاهر الحديثين يوهمان القارئ بالتعارض، لأن الاول يدعو الانسان الى غرس الفسيلة، أو بالأحرى فعل الخير حتى إن قامت الساعة، بينما ينفي الحديث الآخر وجود أهل الخير عند قيام الساعة ويندفع هذا التعارض بكلام الهيثمي بقوله: لَعَلَّهُ أَرَادَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ: أَمَارَتَهَا، فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ: إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِالدَّجَّالِ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِزْهَا، فَإِنَّ لِلنَّاسِ عَيْشًا بَعْد(٣)، وقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾(٤)، قال المناوي: ((و مقصودة الْأَمر بالغرس لمن يَجِيء بعد وَإِن ظَهرت الأشراط وَلم يبْق من الدُّنْيَا إِلَّا الْقَلِيل))(٥)، وبهذا يزول الالتباس، وينتهي الاشكال فالمعنى أن ذلك مع اقتراب الاشراط وليس عند الصعق والله أعلم.

· التعارض الثاني: دفع التعارض بين هذا الحديث و حديث البخاري في صحيحه: عن أبي أمامة الباهلي قال: ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت النبي ﷺ يقول ((لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل))(٦).

(١) المصباح المنير للفيومي ٢/ ٤٧٣

(٢) صحيح مسلم: كتاب الآداب: باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، رقم ٧٥١٢، ٨/ ٢٠٨

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/ ٦٣، والحديث في الادب المفرد /٤٨٠, قال ابن حبان عن داود بن ابي داود - احد رواة الحديث -: يروي المراسيل، الثقات٤/٢١٨ , وقال المزي في تهذيب الكمال ٣٨٥/٨: روى له البخاري في الادب هذا الحديث الواحد

(٤) سورة محمد: الآية [١٨]

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٣٧٢

(٦) الجامع الصحيح المختصر محمد بن إسماعيل البخاري / كتاب المزارعة / باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به رقم ٢١٩٦

الظاهر من الحديثين التعارض، ولربما كان هذا التعارض الظاهري حجة لمن اراد الطعن في السنة النبوية بدعوى التعارض، والحقيقة أن نظرة فاحصة الى نصوص السنة تبين للمنصف أن لا تعارض، فالسنة غنية بالنصوص التي تحث على الزراعة وتدعوا الى استصلاح الاراضي وزراعتها، بل ورتب النبي ﷺ على إطعام ثمارها الاجور، هذا من جانب أما من جانب آخر فقد ذكر أبن حجر المراد من كلام أبي أمامة، وبين أن ترجمة البخاري للباب بقوله (باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به) تبين المقصد الذي قصده أبو أمامة، يقول ابن حجر: ((وَقَدْ أَشَارَ الْبُخَارِيُّ بِالتَّرْجَمَةِ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ وَالْحَدِيثِ الْمَاضِي فِي فَضْلِ الزَّرْعِ وَالْغَرْسِ وَذَلِكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُحْمَلَ مَا وَرَدَ مِنَ الذَّمِّ عَلَى عَاقِبَةِ ذَلِكَ وَمَحَلُّهُ مَا إِذَا اشْتَغَلَ بِهِ فَضَيَّعَ بِسَبَبِهِ مَا أُمِرَ بِحِفْظِهِ وَإِمَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يُضَيِّعْ إِلَّا أَنَّهُ جَاوَزَ الْحَدَّ فِيهِ))[1]، بل وأكد الحافظ رحمه الله أنه لا حجة لمن يقول بترك الزراعة واتخاذ الضيع: ((وَفِي الْحَدِيثِ فَضْلُ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ وَالْحَضُّ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَيُسْتَنْبَطُ مِنْهُ اتِّخَاذُ الضَّيْعَةِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهَا وَفِيهِ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَزَهِّدَةِ وَحُمِلَ مَا وَرَدَ مِنَ التَّنْفِيرِ عَنْ ذَلِكَ عَلَى مَا إِذَا شَغَلَ عَنْ أَمْرِ الدِّينِ فَمِنْهُ حَدِيثُ بن مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا))[2].

وبها الفهم يزول التعارض بين النصين، ويتضح بينهما التكامل.

المبحث الثاني

المطلب الأول: شرح الحديث وفوائده

أولاً: الشرح العام للحديث:

«يخاطب النبي ﷺ أمته بلهجة المشفق الرحيم، الذي لا يترك مجالاً لخير إلا دلّ عليه وبيّن سبيله، كيف لا وقد وصفه الله عز وجل في كتابه بالرأفة والرحمة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وفي ضوء هذا الوصف يأتي توجيهه في الحديث الشريف: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا

(١) فتح الباري لابن حجر ٥/ ٥

(٢) فتح الباري لابن حجر ٥/ ٤، وحديث ابن مسعود اخرجه الترمذي وحسنه برقم ٢٤٨١, ٣٦١/٤ , ورواه ابن حبان في صحيحه برقم ٧١٠ ,٢/ ٤٨٧

(٣) سورة التوبة: الآية [١٢٨]

يقوم حتى يغرسها فليغرسها».

فالساعة – أي القيامة – سميّت بهذا الاسم لمجيئها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لطولها، ومع ذلك يُؤمر المرء بأن يتم عمله النافع ولو كانت نهاية العالم على وشك الوقوع. والفسيلة هي النخلة الصغيرة، والحديث يدل على أن غرسها مندوب، لا على سبيل الإلزام. وذكر الهيثمي أن المراد بقيام الساعة ظهور علاماتها، مستشهداً بما ورد في شأن الدجال: «فليغرسها فإن للناس عيشاً بعد». (١)

وخلاصة المعنى: أن النص يبالغ في الحث على إعمار الأرض، وغرس الأشجار، وشق الأنهار، وبناء العمران، ليظل هذا الكون قائماً إلى مداه الذي قدّره الله تعالى. فكما غرس غيرك فانتفعت، فاغرس لغيرك لينتفع، ولو بقي من الدنيا زمن يسير. وليس في هذا التوجيه ما يعارض مبدأ الزهد أو التخفف من متاع الدنيا، لأنه زهد لا يعني تعطيل العمل النافع ولا ترك عمارة الأرض»(٢).

المطلب الثاني:

ثانياً: بعض فوائد الحديث:

١ - المبادرة للعمل وامتلاك شجاعة التقدم لأداء الأفعال: لعل من أهم ما يساهم هذا الحديث في بناءه هي روح المبادرة في الانسان، والحقيقة أن الدعوة للمبادرة ليست دعوة طارئة في الإسلام بل هي دعوة أصيلة قائمة على تحفيز النفوس واستفزاز أعلى ما فيها من الهمة والفتوة، فالمبادرة إلى عمل الخير من القيم الأساسية التي دعا إليها الإسلام، لما لها من أثرٍ عظيمٍ في تزكية النفس، وتقوية أواصر المجتمع، وتحقيق مرضاة الله تعالى.

وقد ورد الحث على المسارعة إلى الخيرات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣)وقوله تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٤)، كما أن السنة النبوية أكدت هذا المعنى من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل

(١) سورة الأعراف: الآية [١٨٧]

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي ٣/ ٣٠

(٣) سورة البقرة: الآية [١٤٨]

(٤) سورة المائدة: الآية [٤٨].

المظلمة [١] أي سارعوا الى الطاعات قبل أن تأتي الفتن التي تصرف الإنسان عنها، ويتضح من مجموع هذه النصوص أن المبادرة الى عمل الخير مظهر من مظاهر الإيمان الصادق ودليل على اليقظة القلبية واستعار مسؤولية الوقت في حياة المسلم. ولذلك يصنف أحمد خليل خير الله الأشخاص بعد المرور بأزمة إلى تسعة أصناف وهم المشاهدون – الحالمون – المتألمون – المتشائمون – المنتقمون – المترددون – المنتفعون – الثابتون – المبادرون، والشاهد في الصنف الأخير، ألا وهو المبادرون، وهم كما عرفهم ووصفهم بأنهم: سادة المواقف، صناع القرار، رواحل الأمة، ملح البلد، يقودون الأحداث، يفصلون بين الحدث ورد الفعل، يعملون، يوحدون، يملكون الرؤى، تزيدهم الأحداث صلابة، وتزيد الأزمات من تألقهم هم أهل المبادرة [٢].

٢ - الفاعلية في التعامل مع الحياة والأعمال: الفاعلية في حقيقتها عملية اختيار أهداف للحياة والعمل، من أجل تحقيق اعلى درجات الانجاز والحصول على افضل النتائج[٣]، وفي هذا الحديث الشريف توجيه نبوي الى أن تكون لحياة الانسان خارطة أهداف يعمل من أجل تحقيقها لا أن يخرج من الحياة كما دخلها، وقد قيل أن لم تكن زيادة في الحياة كنت زائدا عليها[٤].

٣ - صناعة الإيجابية وتحقيقها على أرض الواقع: الإيجابية في ابسط مفاهيمها طريقة تفكير قائمة على صناعة الفعل لا على ردة الفعل، وعقلية أداء الاعمال الى اللحظة الأخيرة هي العقلية التي يدعو الإسلام اتباعه الى امتلاكها وبناء الحياة عن طريقها[٥]، يقول الشيخ مشعل عبد العزيز الفلاحي: لم أقرأ حديثاً في الإيجابية كما قرأت حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها\ فتأمل هذه الدعوة العريضة للإيجابية، وكيف يدعو إليها النبي ﷺ عامة المسلمين في مثل هذا الوقت الحرج من حياتهم؟!

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن برقم ١١٨، ١/١١٠
(٢) من مقال فسيلتنا طريقنا للنهوض مقال منشور على موقع الجزيرة نت. سعيد فرحة
(٣) التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر، د. ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي/ الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، (ص: ٢١).
(٤) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٩٣٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، ٢٠١١م(٢: /٦٨)
(٥) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط/١٥، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م، (ص: ٨٣). الايجابية، مقال لمشعل عبد العزيز الفلاحي، موقع صيد الفوائد على النت

«تخيّل إنساناً يحمل فسيلة نخلة ليرسخها في الأرض، فإذا بالمشهد ينقلب فجأة، والكون كله يتحوّل، وتنقطع الدنيا بتمامها عن حياته، لتبدأ لحظة الآخرة وما يتبعها من أحداث. إن استحضار هذه اللحظة بدقة يكشف مقدار النعمة في عمر الإنسان، ويظهر هول المفاجأة عند انقطاع الدنيا، وشدة الصدمة عند الانتقال إلى الآخرة. ومع ذلك كلّه، يوجّه النبي ﷺ الإنسان نحو الإيجابية والعمل، كأنه يقول له: إن قيام الساعة لا ينبغي أن يزعزعك، ولا أن يصرفك عن فعلك، بل امضِ لغرس فسليتك».

٤ - صناعة الأمل في النفوس ودفع اليأس: النفوس المليئة بالأمل هي النفوس التي تستطيع الصمود في أوقات الازمات، ولا أعني بذلك ألأمل المذموم الذي يرتبط بالتعلق بالدنيا، بل أعني به الامل المرتبط بحسن الظن بالله والتفاؤل بتحسن الأحوال ولذلك كانت السنة مليئة بنصوص المبشرات التي أخبر بها النبي ﷺ لأصحابه لتغذية هذا الجانب العميق في الانسان، وعملية الحث على غرس الفسيلة تهيئ القلب والنفس لتوقع الأفضل مستقبلاً. وما حدث في غزوة الاحزاب لخير دليل على ما نقول حيث ان المسلمين قد حوصروا من قبل المشركين والاعراب الذين كانوا معهم، وحصلت خيانة اليهود لهم من خلفهم حتى بلغ بهم اليأس مبلغه وقد وصف القران الكريم تلك الحالة الصعبة التي عاشها المسلمون في تلك المعركة ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(١)

هنا نجد ان النبي ﷺ في تلك الساعة الحرجة، يبعث الامل في نفوس اصحابه ويبشرهم بالبشارات العظيمة التي لا تخطر على بالهم وهم في تلك الشدة، ففي شدة اليأس وقمة الالم كان عليه الصلاة والسلام يبعث في اصحابه الامل.

فعَنِ «الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ. قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ. قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ. فَضَرَبَ ضَرْبَةً، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ:

(١) سورة الأحزاب: الآية [١٠ - ١١]

اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» (١).

٤ - عدم استعجال النتائج: التوجيه بغرس الفسيلة في وقت نفاذ الفرص او اقتراب نفاذها يوطن النفس على العمل دون استعجال النتيجة، فالنتيجة التي لا تحصدها أو لا تترقب حصادها في الدنيا لا يمتنع حصادها في الاخرة، والنتيجة التي لا تلتقط ثمارها بنفسك سيلتقطها آخر من بعدك، وهذا يقود الى مفهوم خاطئ وهو عدم الاهتمام للنتيجة، أو مقولة نحن لسنا مكلفين بالنتائج وإنما بالعمل، أعتقد جازما أن المفهوم بهذه الصيغة خاطئ بل الواجب أن تحسب نتائج أعمالنا ومالاتها بدقة، وأن نفرق بين إدراك النتيجة الذي قد لا يتهيأ وبين عدم الاهتمام بها والذي قد يؤثر على جودة الاعمال نفسها(٢).

٥ - قيمة أداء الأعمال والسعي في الأرض: أن اختيار النبي ﷺ لوقت قيام الساعة ليضرب له هذا المثل ويوجه به هذا التوجيه يدلك على أهمية العمل، وأن الصلة بالله تعالى مطلب يجمع الدنيا بالآخرة، وأن الحياة في حقيقتها حركة انسانية في إطار الزمن المتاح لك، وأن توقفك عن العمل هو في الحقيقة الموت قبل الموت(٣).

٦ - العمل لا ينتهي الى نهاية الوقت المتاح: كما يؤكد النبي ﷺ على أهمية العمل ويوصي به في الأوقات الحرجة فإن الوجه الثاني لهذا الأمر أن العمل مستمر الى النهاية، قال تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٤)، والمعنى أنه مع انتهاء عمر الدنيا لا نهاية للعمل، ولذلك الأولى بالعاقل اغتنام الوقت وعدم تضييع الفرص(٥).

٧ - تجاوز مفهوم الفردية والانانية الى مفهوم التكافل والتعاون: يؤسس هذا الحديث في حياة الانسان صفات التعاون، والنظر الى الاخرين بنفس النظرة الى النفس دون تمييز، وسريان هذه

(١) رواه الإمام احمد في مسنده مسند الكوفيين: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، برقم /١٨٦٩٤، ٣٠/ ٦٢٥، والنسائي في الكبرى، كتاب السير، حفر الخندق، برقم/ ٨٨٠٧، ١٣٤/٨

(٢) ينظر: المعلم المسلم والهدف البعيد: إبراهيم داود، مجلة البيان، العدد ١٢٤، ص: ١٦.

(٣) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: ص: ٨٥

(٤) سورة الحجر: الآية [٩٩]

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ المحقق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ ٥٤٧/٢.

الروح في مجتمع ما هي في الحقيقة ماء الحياة له، وسر النماء. اما الانشغال بالنفس فقط والانكفاء على الذات، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، فهذا مما ينذر بخطر كبير وشر مستطير، إن المسلم يأبى أن يحتجز الخير لنفسه أو لأسرته أو عشيرته أو بني جنسه. . ويوقن أن الأثرة تتناقض مع طابع عقيدته، والسلبية تتنافى مع اتجاه رسالته، ولذا كان على المسلم ان يبتعد عن الفردية والانانية من اجل التعاون على اصلاح المجتمع ونشر قيم الخير فيه. (١)

٨ - التعامل القيمي لا الشخصي: المتمعن في الجمع بين حديث الفسيلة، وحديث لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، يدرك أن غرس الفسيلة ونمائها وحصاد ثمارها لن يكون غالبا من نصيب أهل الخير، بل على الاغلب سيكون من نصيب أشر الناس، مع ذلك يعلمنا النبي ﷺ التعامل مع الاخرين انطلاقا من قيمنا لا من قيمهم، ومن أخلاقنا لا من أخلاقهم.

٩ - في تحقيق العبودية لله تعالى يلتقي طريق الدنيا والاخرة: أغلب الفلسفات والافكار المنتشرة في العالم ترفع شعار (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر) ويبتعد فيها خط الاخرة عن خط الدنيا، فلا لقاء بينهما، بعكس الاسلام الذي تقوم أعماله على فلسفة أن الدنيا طريق الاخرة ومزرعتها، فأعمال الدنيا التي يبتغى بها وجه الله تعالى هي الطريق الحقيقي الذي يذهب بصاحبه الى الجنة. . لذا فأن غرز الفسيلة وفي هذا الوقت العصيب قد يقربك الى الجنة ويبعدك عن النار، على اعتبار ان ذلك عبادة يرجو القائم بها وجه الله سبحانه وتعالى، فلا افتراق في الاسلام بين العبادة وبين العمل الذي ينبغي القيام به. فلا رهبانية في الاسلام كما هو عند اتباع الديانات الأخرى، فالنبي ﷺ لم يطلب من صاحب الفسيلة ان يتوب ويؤوب الى الله ويستغفره، ولم يطلب منه اداء الصلاة وغيرها من انواع العبادات المحضة وانما طلب منه ان يغرس الفسيلة فهذا افضل عمل يقوم به قبل ان تقوم الساعة ويحين وقتها، ويلاقي ربه به.

١٠ - الفسيلة والنهضة: يعتقد المهتمون بأفكار النهضة، والعاملون لبناء خط الشروع النهضوي في الأمة، أن فلسفة النهضة قائمة على ثلاثية مهمة، أحد مرتكزات هذه الثلاثية هي فكرة الفسيلة، والمقصود أن نهضة الأمة بحاجة الى رجال يحملون فكرة الفسيلة في عقولهم وضمائرهم ويطبقونها في سلوكياتهم فتقديم العمل وصناعة الامل وإزالة اليأس وتهيئة الملفات الكبرى هي واجبهم الاول الذي نذروا اعمارهم لأجله(٢).

(١) لمحات في الثقافة الاسلامية ص ٨٥

(٢) ينظر: من الصحوة الى اليقضة: جاسم سلطان، مكتبة الاسرة العربية، إسطنبول، ط/١ (ص: ٢٢).

١١ - التخطيط للأجيال القادمة والقيام بما ينبغي القيام به مما يضمن استمرار حياتهم، وقد جاء ما يؤكِّد هذا المعنى عن الصحابي الجليل عبد الله بن سلام: ((فلا تَعجَلْ أن تُصلحها؛ فإن للناس بعد ذلك عيشًا))؛ ومن المعروف ان النخل يحتاج لفترة زمنية طويلة حتى ينمو ويثمر، وفي مثل هذه الظروف التي ظهرت فيها أماراتُ الساعة، فإن الإنسان قد لا يخطِّط لأكثر من معاش يومه، فجاء الحديث مؤكِّدًا على زرع الفسيلة، ولو كان هذا آخرَ عمل يقوم به المسلم.) [١]

١٢ - يشير الحديث الى فضل الغرس والزرع، قال العيني: وَاسْتدلَّ بِهِ بَعضهم على أَن الزِّرَاعَة أفضل المكاسب، وَاخْتلف فِي أفضل المكاسب، فَقَالَ النَّوَوِيّ: أفضلهَا الزِّرَاعَة، وَقيل: أفضلهَا الْكسْب بِالْيَدِ، وَهِي الصَّنْعَة، وَقيل: أفضلهَا التِّجَارَة) ومما يدل على افضلية الزراعة ان كل من يأكل من ثمر الزرع من انسان او حيوان او طير فله اجر لقوله ﷺ: ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة. [٢]

١٣ - وفي الحديث ايضا الحض على عمارة الارض سواء كان ذلك لنفسه او من يأتي بعده [٣].

(١) استنباطات اقتصادية من حيث الفسيلة. د. عبد الحميد المحيمد، مقال منشور على موقع الالوكة على الشبكة العنكبوتية

(٢) عمدة القاري١٢/١٥٥، والحديث رواه البخاري في صحيحه: كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه برقم٢٣٢٠، ٣/١٠٣، ومسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع برقم ١٥٥٣، ٣/ ١١٨٩.

(٣) عمدة القاري١٢/١٥٥

الخاتمة

١ - ان حديث الفسيلة قد رواه عدد من الائمة في مسانيدهم منهم الامام احمد وابو داود الطيالسي والبزار وعبد بن حميد، كما رواه الامام البخاري في كتابه الادب المفرد. ورواه الضياء المقدسي في كتابه الاحاديث المختارة

٢ - تبين لنا من خلال دراسة رجال السند ان الحديث اسناده صحيح، وهذا ما ذهب اليه بعض علماء الحديث من المتقدمين والمتأخرين.

٣ - بين الحديث ان العمل هو عبادة في حد ذاته في الاسلام، وانه لا افتراق بين العمل والعبادة فكلاهما يوصلان المرء الى القرب من الله وكسب رضاه.

٤ - يحمل الحديث دعوة صريحة إلى التفاؤل والإيجابية والإنتاج، وعدم الاستسلام لليأس مهما كانت الظروف، حتى في أشدّ المواقف كقيام الساعة.

٥ - يُعد الحديث أصلًا من أصول فقه العمران والعمل في الإسلام، إذ يحث على عمارة الأرض والإصلاح فيها.

٦ - يوصي البحث بضرورة إبراز مثل هذه الأحاديث في الخطاب الدعوي والتربوي المعاصر، لما فيها من بناء للأمل وروح المبادرة.

وبذلك يظهر أن هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم النبوية، التي تجمع بين عمق المعنى وبراعة الأسلوب، وتُعبّر عن رؤية الإسلام الشاملة للعمل والبناء والإصلاح.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١ - ابن الأعرابي: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر، معجم شيوخ ابن الأعرابي، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧.

٢ - ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٣ - ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٤ - ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٥ - ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ]، الناشر: المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ.

٦ - ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، حققه وعلق عليه: نور الدين عتر (على نسخه مقروءة على المؤلف) الناشر: مطبعة الصباح، دمشق – سوريا، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧ - البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، الأدب المفرد: المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣٧٩ هـ.

٨ - البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي،

صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

٩ - البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق [٢١٥ - ٢٩٢]، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.

١٠ - البُستي: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، ا (ت ٣٥٤ هـ)، الثقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.

١١ - البغدادي: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال الحنبلي (ت ٣١١ هـ)، الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك، تصنيف: أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، الناشر: دار العاصمة، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٢ - الثيومي: أحمد بن محمد بن علي الثيومي ثم الحموي أبو العباس، ت (٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت ب ت.

١٣ - الجرجاني: أبو أحمد بن عدي (ت ٣٦٥ هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

١٤ - الجرجاني: أبو القاسم حمزه بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني ت(٤٢٧هـ): تأريخ جرجان، تحقيق: محمد عبد المعيد خان عالم الكتب بيروت، ط ٤ / ١٩٧٨.

١٥ - حنبل: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] - عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لطبعة الاولى ٢٠٠١.

١٦ - الخطيب: عمر عودة، لمحات في الثقافة الاسلامية، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧ - داود: إبراهيم مقال بعنوان المعلم المسلم والهدف البعيد، نشر بمجلة البيان العدد /١٢٤.

١٨ - الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي، ولد سنة ٦٧٣ - وتوفي سنة ٧٤٨ هـ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي ولد سنة ٧٥٣ - وتوفي سنة ٨٤١ هـ رحمهما الله تعالى، قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرج نصوصهما، محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الاسلامية مؤسسة علوم القرآن جدة حقوق الطبع محفوظة الطبعة الاولى ١٤١٣ – ١٩٩٢.

١٩ - الذهبي: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين أسد، وشعيب الأرنؤوط، بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٠ - الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (ت ١٣٥٦هـ)، وحي القلم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١ - سلطان: د. جاسم محمد من الصحوة الى النهضة مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول - ط ١.

٢٢ - الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩.

٢٣ - فرحة سعيد: فسيلتنا طريقنا للنهوض مقال منشور على موقع الجزيرة نت.

٢٤ - الكَسّي: ويقال له: الكَشّي أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر (ت ٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، الناشر: دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥ - الكيلاني: ماجد عرسان، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر، دار القلم/ ٢٠٠٥ ,دبي الامارات العربية المتحدة.

٢٦ - المحيمد: د. عبد الحميد استنباطات اقتصادية من حديث الفسيلة، نشر في موقع الالوكة على النت.

٢٧ - المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٢٨ - المقدسي: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت ٦٤٣ هـ)، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٩ - المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت ١٠٣١هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٠ - المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

٣١ - موقع الجزيرة نت.

٣٢ - موقع صيد الفوائد على النت.

٣٣ - النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ): السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، (بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١.

٣٤ - النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ] الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٥ - الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤.